Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 38:3 (2003)

القيمة العلمية لمصادر المستشرقين عن الإسلام

محمد بهاء الدين حسين أحمد

بين يدي البحث:

ينبغي تقديم فكرة عامة عن الدراسات الاستشراقية الإسلامية من حيث نشأتها وأسباب ظهورها وتطورها في مختلف مراحلها، والأهداف المرافقة لها بصورة مختصرة لمعرفة الآثار التي تركتها هذه الأمور على مؤلفات المستشرقين وأبحاثهم عن الإسلام في مختلف القرون.

نشأة الاستشراق:

يذكر المؤرخون أن بداية الاستشراق أو الدراسات الاستشراقية ـ من حيث كونها تعنى بدراسة الشرق عموما من مختلف جوانبه ـ ترجع إلى فترة مبكرة جداً، لكن الباحثين اختلفوا في تحديد تاريخ البدء بتلك الدراسات وتحديد هوية أول من قام بها، فمن الباحثين من يرى أن جذور هذه الدراسات تعود إلى نهاية القرن الأول الميلادي، حيث عثر على كتاب لمؤلف مجهول اسمه **الطواف حول البحر الأرتيري**. يرى الدكتور جواد علي أنه كتب في نهاية القرن الأول الميلادي، وأن مؤلفه كان عالما بأحوال الهند وشواطئ إفريقيا[1]. أما كدراسة استشراقية متخصصة في شؤون الإسلام والمسلمين من بعد بعثة النبيّ صلى الله عليه وسلم وتوطّيد حكم الإسلام، فإنَّ معظم المحققين قالوا: إنه لا يُعرف على وجه التحديد أول غربي اتجه إلى دراسة العلوم الإسلامية وتاريخ الشرق الإسلامي ولا تاريخ البدء بذلك، ومن هنا، لا يستطيع المرء الجزم بتحديد من هو أول شخص نبتت في ذهنه فكرة الاستشراق، والذي يمكن أن يقال بهذا الخصوص هو أن الاستشراق بدأ أول ما بدأ بدراسة العقيدة الإسلامية، وبيان انتحالها، ونفي مصدرها الإلهي فيما يعرف بكتب النقض، نقض عقائد الإسلام مقابل تصحيح عقيدة النصارى، وانتهى ـ بعد التوسع الاستعماري في الشرق في القرن الثامن

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

عشر ـ إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته، وحضاراته، وجغرافيته، وتقاليده، وأشهر لغاته. وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم نظرا للدوافع الدينية والسياسية التي شجعت تلك الدراسات(٢).

وذهب بعض الباحثين إلى أن بداية الحركة الاستشراقية نشأت في نهاية القرن العاشر الميلادي وأوائل القرن الحادي عشر بفرنسا، وأن الراهب الفرنسي جربردي أولياك (٩٣٨هـ/ ١٠٠٣م) كان من أوائل المشتغلين بعلوم الشرق، وارتبطت باسمه بداية حركة الاستشراق، حيث رحل من فرنسا إلى إسبانيا، مهد الحضارة الإسلامية في وقته، فتعلّم فيها اللغة العربية، ووقف على علوم المسلمين في الرياضيات، والطب والكيمياء والفلسفة، كما قرأ بعض العلوم الدينية حتى قيل عنه: إنه كان أوسع علماء عصره معرفة بعلوم المسلمين، وخاصة في الرياضيات والفلك، ثم ارتحل إلى روما مقر البابوية حيث اشتهر من بين أقرانه بمعرفته الواسعة باللغة العربية وعلوم المسلمين، فانتخب حبرا أعظم تحت اسم سلفستر الثاني (٩٩٩هـ/ ١٠٠٣م) وكان بذلك أوّل بابا فرنسي يعتلي كرسي البابوية، واستطاع من خلال منصبه الجديد أن ينشئ مدرستين لتدريس اللغة العربية وعلومها، كانت الأولى في روما مقر البابوية والثانية في موطنه الأصلي "دايمس".

ثم أنشأ بعد ذلك مدرسة ثالثة باسم "شارتر" وقد قام هذا الراهب بترجمة بعض الكتب العربية في الرياضيات والفلك، وإليه يرجع الفضل في انتشار الأعداد العربية في أوروبا التي كانت ينقصها رقم الصفر، ولم تكن تعرفه حتى نقله إليها جربر من العربية إلى اللاتينية(٣). كل الدلائل تشير إلى أن الاستشراق في بداية أمره لم يقم إلا لغاية دينية محضة، ثم توسع القائمون به فجعلوه سياسيا ولغويا معا. أما في الغرب فيؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وغيرها(٤). أما من زاوية النظر إلى الاستشراق في الغرب كموضوع أو منهج علمي كما هو بين أيدينا فيمكن القول: إنه لم يكن إلا نتيجة نشاط أجيال عديدة من المستشرقين، وإنه لم يتشكل كمنهج علمي إلا في منتصف القرن التاسع عشر(٥).

وإذا نظر المرء إلى تاريخ تطور الاستشراق يجد أن بداية الدراسات العربية الإسلامية ترجع إلى نهاية القرن العاشر الميلادي وأوائل القرن الحادي عشر. وحصل تطور ملحوظ فيها في القرن الثاني عشر الميلادي حينما تمّت ولأول مرة في عام ١١٤٣م ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من قبل روبرت كيتون، وإشراف من رئيس دير كلوني وكان ذلك على أرض إسبانيا، وفي القرن الثاني عشر أيضاً نشأ أول قاموس لاتيني عربي، وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر بُذلت جهود كبيرة

لإنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية، وكان الهدف من هذه الجهود في هذا العصر وفي القرون التالية هو التنصير(٦). وقد استمرت الجهود في دراسة الإسلام وترجمة القرآن الكريم وبعض الكتب العربية والعلمية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي، والاستيلاء على ممتلكاته، فنبغ علماء في الاستشراق وبدأ الاستحواذ على المخطوطات في البلاد الإسلامية، ونقلها إلى مكتبات الغرب.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م ثم توالت المؤتمرات حتى هذه الأيام، ورافق ذلك إنشاء الجمعيات وإصدار المجلات المتعلقة بالشرق عموما وبالعالم الإسلامي خصوصاً(٧). ومهما قيل عن تلك المراحل وتطور الدراسات الاستشراقية فيها، ولكن الحركة الاستشراقية وصلت إلى عصر ازدهارها الحقيقي بمجيْء القرنين التاسع عشر والعشرين، ففي نهاية القرن الثامن عشر وبالتحديد في شهر مارس من عام ١٧٩٥م قامت الحكومة الثورية في باريس بإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحيّة. وكما يقول المستشرق رودي بارث ـ إن الاستشراق قد تشكّل كمنهج علمي ـ ولو في الظاهر ـ في القرن التاسع عشر(٨)، ضمن الدراسات التي استهدفت الأديان السماوية وغير السماوية، من قبل من صاروا يعرفون "بفلاسفة الدين" و "تاريخ الأديان" و "مقارنة الأديان" أو "علم الأديان".

أما اليوم فالاستشراق في العالم الأوروبي الحديث كله موضوع أو منهج علمي معترف به من الجميع، ويوشك أن يكون الاستشراق ممثلا في كل جامعة من الجامعات الأوروبية بكرسي يشغله أستاذ، كما أن المجتمع الأوروبي المتمثل في حكوماته ومجالسه النيابية يضع تحت تصرّف المستشرقين الإمكانيات المادية والمعنوية اللازمة لإجراء بحوثهم، والمحافظة على نشاطهم التعليمي في هذا المضمار.

أسباب نشأة الاستشراق:

ذكر الباحثون المهتمون بالدراسات الاستشراقية جملة من الأسباب لنشأتها أذكر فيما يأتي أهمها:

١- احتكاك المسلمين بالرومان في غزوة مؤتة ثم في معركة اليرموك، إذ وقف المسلمون والنصارى بعضهم لبعض موقف الخصم السياسي(٩).

٢- الحروب الصليبية حيث إن بداية الاستشراق كانت بسبب الحروب الصليبية حين بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية الغربية في فلسطين، وحجة القائلين بهذا الرأي

هو أن العداء السياسي قد استحكم واحتدم بين نصارى الغرب والمسلمين أيام نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي إثر الهزائم المتكررة، والخسائر الجسيمة التي لحقت بهم، فأراد الغرب الانتقام لهزائمه بتشويه الإسلام ورسوله ورجاله بمختلف الوسائل(١٠). وذلك أن الحملات الصليبية لم تحقق للغرب طموحاته المرجوّة منها للسيطرة على المنطقة الإسلامية، واستخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين، ففكر الغرب في بديل آخر ووسيلة أخرى أكثر فعالية لكنه ربما يكون طويل الأمد يحقق له ما عجز عن تحقيقه بالسلاح والمواجهة العسكرية، فكان هذا البديل والوسيلة هو الاستشراق لتحقيق أهداف الغرب وأحلامه، لذا فقد تغيّر أسلوب المواجهة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي بعد الحروب الصليبية فاحتلت الكلمة والحوار المكانة الأولى في دراسةِ نفسيّةِ الشرقِ لمعرفة الأسلوب الأمثل للمواجهة، أو كما روّج لها ريموند للّ (ت/١٢١٦) استبدال الصليبية الثقافية بالصليبية العسكرية. ولما كان القائمون على أمر الحروب الصليبية والمحرّكون لها هم رجال الكنيسة، فإن ذلك جعلهم في طليعة المهتمين بأمر الشرق الإسلامي ودراسة أحواله، ومن هنا كانت طليعة المستشرقين من القساوسة ورجال الكهنوت المسيحي.

٣- الحروب الصليبية الدموية الناشئة بين المسلمين والنصارى في الأندلس، إذ يعيد بعض الباحثين سبب نشوء الاستشراق إلى تلك الحروب، وخاصة بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة سنة ١٠٨٥م، فنشأت حركة التوبة والتكفير في دير كلوني التي عملت على جعل النصرانية الإسبانية كاثوليكية صرفة بعد أن أصابها الفساد ـ على حدّ زعمها ـ لاكتسابها الكثير من الإسلام، فبدأت حربها ضد نصرانية أسبانيا، وحملتها الظالمة ضد إسلامها(١١).

٤- يرى فريق آخر من الباحثين أن نشوء الاستشراق إنما سببه كان حاجة الغرب إلى الرد على الإسلام أولا، ولمعرفة أسباب القوة الدافعة لدى أبنائه ثانيا، وخاصة بعد سقوط القسطنطنية سنة ١٤٥٣ م، ومن ثم وصول المسلمين إلى أسوار فينا حيث الإسلام وقف سداً منيعاً أمام انتشار النصرانية(١٢).

إن الأسباب الآنفة الذكر لنشوء الاستشراق كلها مجتمعة أو متفرقة تصلح أن تكون أسبابا لنشوئه لكن الذي بدا لنا من ذلك أنه من غير الممكن فصل الاستشراق وخاصة في القرون الوسطى عن التنصير أو الدافع الديني بصفة خاصة، فالدافع الديني كان السبب في نشأة الاستشراق، وكان روجر بيكون (١٢١٤هـ/ ١٢٩٤م) أحد المطالبين بتعليم لغات المسلمين لغرض التنصير ... ثم صادق مجمع فينا الكنسي في عام ١٣١٢م على أفكار "بيكون" و "ريموند للّ"، بشأن تعليم اللغات الإسلامية، وتمت الموافقة على تعليم اللغة العربية في جامعات أوروبية(١٣).

تقول الدكتورة عائشة بنت الشاطئ عن نشأة الاستشراق ومدى ارتباطها بالكنيسة: "فحين نسأل التاريخ عن حركة الاستشراق كيف نشأت؟ يلقانا جوابه الصريح: بأنها قامت أول ما قامت في رعاية الكنيسة الكاثوليكية، وخضعت لإشراف مباشر من كبار أحبارها"(١٤).

بعد هذا الاستعراض الموجز لنشأة الاستشراق وأسبابه وتطوّره، أعود إلى صلب البحث فأقول: إن مصادر المستشرقين في استقاء معلوماتهم عن الإسلام يمكن تقسيمها إلى مرحلتين: مرحلة العصور الوسطى "المرحلة العقَدية" ومرحلة ما بعدها من عصور النهضة والإصلاح والتنوير "المرحلة الجديدة أو ما يسمى المرحلة العلمية" ولنبدأ بمصادرهم في العصور المتوسطة أولا، ثم بمصادرهم في عصور ما بعدها ثانيا.

مصادر المستشرقين عن الإسلام في القرون الوسطى:

من العلوم أن القرون المتوسطة تبدأ من القرن الخامس الميلادي، وتنتهي بعصر النهضة في القرن الخامس عشر الميلادي، وأن الكنيسة فيها كانت صاحبة الكلمة، وكانت حاملة راية الاستشراق، لذا يمكن بسهولة الكشف عن طبيعة الدراسات التي أجراها الغربيون عن الإسلام في هذه المرحلة، والوقوف على حقيقة الأهداف التي كانوا يتوخّونها منها، حيث إن كل الذين كتبوا عن الإسلام كانوا من رجال الكنيسة والعاملين في دائرتها وفلكها، فنستطيع القول جازمين: إن أكثر هذه الكتابات، والترجمات التي قاموا بها للقرآن الكريم كانت صادرة عن المتعصّبين من رجال الكنيسة والسائرين على خطاهم من المؤرخين والكتّاب وكان الدافع إليها في كل وضوح وجلاء هو الرغبة في محاربة الإسلام، وتصيُّد المثالب المزعومة، واقتناص الحجج المغالطة لتقديمها إلى المبشرين ليستغلوها في جدٍّ لصالحهم ضدّ المسلمين، ومن ثمة فإنها لا تحتوى على الضبط والنزاهة والحياد، وهي أمور مطلوبة في البحث العلمي الجاد الذي يبتغي صاحبه من ورائه الوصول إلى حقائق علمية.

فلا يمكن أن نتصور هؤلاء مجردين عن عواطفهم الدينية، أو يتجردون عنها للبحث العلمي، بل كانوا مدفوعين إلى هذا النوع واللون من الدراسة بدافع الانتصار لدينهم.

إن هذه النوايا التي عبَّرت عنها نصوص أصحابها في تلك الفترة، والفترات المتتالية أيضاً تجعلنا نثق تمام الثقة بسيطرة الدافع الديني فيها على كل الدوافع الأخرى، فكان خوف رجال الكنيسة من دخول الناس الإسلام إن اطلعوا على حقيقته، دفعهم تحت وطأة العصبية الكنَسِيَّة إلى الطعن في الإسلام وتشويه حقائقه، ومهاجمة رسوله ورجاله، فأعطوا صورة شنيعة بشعة عن الإسلام، رسَّاموها هم رجال الكنيسة لا غير. ولقد عملوا على إشاعتها بين شعوب الغرب لإقناعهم بأن الإسلام دين لا يستحق الانتشار والاعتناق، ولتحذيرهم من خطر الاستسلام له، وخاصة بعد أن انتشرت في

شعوب أوروبا اليقظة الفكرية ونفورهم من تخاريف الكنيسة، وإعراضهم عن المنطق التافه المنافي للعلم الذي تدعو به الكنسية إلى المسيحية، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية أرادوا باختلاف هذه الصورة المشوَّهة صرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، أي أرادوا إشغال أذهانهم بها عنهم.

لقد كان القائمون على أمر الحروب الصليبية، والمحرّكون لها والمعبئون للطاقات فيها ضد المسلمين هم رجال الكنيسة وسدنتها، وحينما فشلوا فيها وخابت آمالهم، تركت آثارها النفسية الكبيرة على الشعوب الأوروبية المشتركة في تلك الحملات، فاندفع رجال الكنيسة بقوة ونشاط أكبر إلى حرب دعائية ضد الإسلام باختلاق الأخبار الكاذبة بشكل لم يسبق له مثيل بغية تقديم المبررات للشعوب الأوروبية على مشروعية تلك الحروب الخاسرة التي هم أشعلوا نارها. لذا جاءت الحروب الصليبية ونتائجها لتعطي رجال الكنيسة دفعة جديدة لاختلاق المزيد من الأخبار الكاذبة المناهضة للإسلام، وتقديم صورة وأقبح عنه من الصورة السابقة. لذا فالكتب العائدة إلى تلك الفترة عن الإسلام، قد حفلت بالاتهامات والشتائم، وكلها تتصف بالتهور والافتراءات الغربية، التي لا تدل إلا على تفكير سقيم اتجاه الإسلام، فإلقاء نظرة سريعة على مؤلفات الغربيين في تلك الفترة يظهر في جلاء أنها مدعاة للسخرية والاستهزاء بها، أكثر منها مبعثا للجدل والنقاش، لأنها كانت مفعمة بالجهل المطبق والسطحية والتعصب. وهذه الأمور من شأنها أن تفقدها القيمة العلمية التي هي الدعامة الأساسية لجمع المؤلفات على اختلاف موضوعاتها.

وإذا أدرك المرء مدى سيطرة الكنيسة ونفوذها على مسيحيّي العصور الوسطى، وتأثيرها على آداب هذه العصور فإنه لن يدهش ويستغرب إذا لمس ما نال الإسلام طوالها من هجوم وقدح وطعن، وذلك نتيجة منطقية للظروف السائدة فيها. ورغم حرص كتاب العصور الوسطى على اتهام الإسلام باتهامات باطلة إلا أنهم لم يستطيعوا إنكار وجود بعض المواضيع التي يتفق فيها الإسلام مع المسيحية، وليفسروا هذا التشابه بين العقيدتين راحوا يزعمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم ولد مسيحيا انشق على البابوية حينما خابت آماله في كرسيها، ثم ادعى النبوّة كما أن الإسلام في نظرهم مزيج مشوّه من أصول مسيحية ويهودية، وأن القرآن يناقض بعضه بعضاً. أما المسلمون فهم وحوش وأبناء شياطين ومشركون(١٥).

ومن الاتهامات الباطلة التي وجّهها كتاب العصور الوسطى من رجال الكنيسة والعاملين في دائرتهم، اتهام المسلمين بالوثنية، فقد اتهموهم بأنهم عبدوا محمدا باعتباره إلها، فزعم أحد الصليبين أن المسلم يقول: "نؤمن بمحمد وآلهتنا الأخرى"(١٦). ويصف بعض الكتّاب محمداً بأنه إله الوثنيين

الذين يتوجهون إليه بالعبادة والإجلال، وزعم ماثيو Mathaw وهو من باريس أن المسلمين يقدّسون محمدا مثلما يقدّس المسيحيون المسيح تماما، وزعم بعض كتاب العصور الوسطى أن خلفاء المسلمين كانوا يُقْسِمون دائما بمحمد والآلهة الأخرى(١٧).

يقول جوستاف بفانموللر عن تصورات الغربيين عن الإسلام ورسوله والمسلمين في تلك الفترة: "ومن بين التصورات التي كانت منتشرة بصفة خاصة القول: بأن المحمديين لم يكونوا يجلّون محمدا لمجرد كونه نبيّهم ومؤسس دينهم، بل كانوا يعبدونه بوصفه يمثّل الألوهية، بالإضافة على ذلك وصف دينَ محمد ـ على النقيض تماما من الحقيقة التاريخية ـ بأنه دين شرك وتعدّد الآلهة، وقد اتُّهِم المحمديون أيضاً ـ دون سند تاريخي ـ بأنهم يمارسون عبادة التماثيل بطريقة فظّة، وكذلك كان المرء يهزأ من أميّة النبيّ ويسخر من الراعي السائق للإبل والحمير"(١٨). وهكذا لم تبذل أيُّ محاولة جدية لفهم الإسلام، أو دراسة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم طوال العصور الوسطى، بل جرت محاولات غير علمية وحملات ظالمة ضد المسلمين والإسلام من قبل بعض المؤلفين في القرن الثاني عشر، أمثال "بطرس الراهب" Peter الذي قام بمحاولة لترجمة القرآن الكريم، وبعض المؤلفات الدينية الأخرى، "بيتر" هذا المعروف بلقب "البطل المسيحي الكبير" قد حمل لواء حملة نشيطة ضد الإسلام، ولاَمَ المسيحين على مهادنة الإسلام، ووضع خطة لمحاربته و رأى أن تكون نقطة بداية هذه الحرب هي القرآن الكريم ولهذا ترجمه إلى اللاتينية.

وقد فتحت مؤلفات "بيتر" عهدا جديدا للصراع ضد الإسلام، فقد غدت مؤلفاته المنبع الذي استقى منه كُتّاب العصور الوسطى(١٩) مادّتهم. فالهجوم على الإسلام ورسوله في هذا المرحلة كان عن جهل ودون استناد إلى أدنى دليل، ولم يكن عند "جيبرت" Gubert كذلك أي فكرة عن العصر الذي عاش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه ـ كما قال عن نفسه ـ كان مضطرا إلى مهاجمته باعتباره أحد رجال الكنيسة(٢٠).

يتضح مما سبق أن الكتاب الذين كتبوا عن الإسلام في تلك الفترة قد اتخذوا من الطعن فيه ومهاجمة رسوله صناعةً قد تفرّغوا لها وكانوا يعيشون منها، لذا نستطيع القول: إن كتاب هذه الفترة كانوا بعيدين كل البُعد عن المنهجية العلمية ولم يعتمدوا في كتاباتهم على المصادر الإسلامية، بل اعتمدوا على مصادر غير موثوق بها، فلم يكونوا في دراساتهم تلك طلاّب علم بل طلاّب أساطير وغرائب، فافتروا على الإسلام، واخترع خيالهم المريض الأقاصيص الكاذبة، لهذا لم يكن لهذا الفريق من الكتاب في سوق العلم نصيب، بل نصيبهم في سوق الأساطير والغرائب، فقد كتبوا عن الإسلام ورسوله من غير أن يكون لهم معرفة في ذلك على الرغم من الاختلاط المباشر. ويعزو بعض الباحثين هذا

الجهل إلى جملة أسباب منها، قلة الفرص للمسيحيين كي يدرسوا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أو عقيدته بالرغم من أنه كان بالإمكان أن يعلم الكتاب الغربيون الكثير عن الإسلام، إلا أنهم ظلوا طوال العصور الوسطى يجهلون كل شيء عنه، بل جهلوا اسم "محمد" صلى الله عليه وسلم فنراهم في أدب العصور الوسطى يكتبون " Mophomet أو Baphonet أو Bofum" إلا أن السبب الرئيسي في جهلهم بالإسلام يعود إلى سيطرة الكنيسة على أهل العصور الوسطى والتي لم تشأ أن يعرف أي شيء عن حقيقة الإسلام، وخوفها من انتشار الإسلام جعلها تعاديه وتعمل كل ما من شأنه تشويه حقائقه(٢١).

المعلومات والأخبار التي وصلت إلى أوروبا في العصور الوسطى، كانت معلومات وأخباراً أولية من طرق ومصادر غير صادقة وموثوق بها، اعترف بذلك بعض المستشرقين الذين جاؤوا في فترات لاحقة من عصر التنوير. أما أهم تلك المصادر فهي مصادر بيزنطية، ومصادر إسبانية، وحروب صليبية، وسأتناول كل منها بالبحث وليكن البدء بالمصادر البيزنطية.

المصادر البيزنطية:

لقد احتكّ المسلمون بالرومان منذ فترة مبكّرة من عمر الرسالة الإسلامية، يعود ذلك إلى غزوة "مؤتة" ثم إلى معركة "اليرموك" ، فقد وقف المسلمون والنصارى فيهما موقف خصومة سياسية، لذا فقد نظر البيزنطيون إلى الإسلام منذ البداية نظرة عداء، وهذا العداء يبدو منطقيا فيما بعد إذا ما تذكرنا أن المسلمين قد انتزعوا واقتطعوا عن الدولة الرومانية الشرقية أحسن ولاياتها، كما أن الإسلام الذي يدعو إلى توحيد الله سبحانه وتعالى يعارض عقيدة البيزنطيين القائمة على التثليث، ولذا فلا عجب أن عدَّ البيزنطيون الإسلام خطرا على كيانهم السياسي وعقيدتهم الدينية. وإذا كان الإسلام قد شكّل خطرا على البيزنطيين بهذا الشكل، فلماذا لم يدخلوا حربا مع المسلمين لإزالة هذا الخطر أو إبعاده عنهم؟!

للإجابة على هذا التساؤل يمكن القول: إن الدولة البيزنطية في تلك الفترة كانت تعاني من الضعف السياسي، وهو ما جعلها تقف عاجزة عن الوقوف في وجه المسلمين والدخول معهم في حرب، لذا ـ بدلا من ذلك ـ خاض البيزنطيون حرباً دعائية أخرى ضدهم، فبدأوا بحملة ظالمة قدّموا من خلالها صورة مشوهة عن الإسلام ورسوله ورجاله من غير أن يكون لهم أي سند تاريخي أو علمي في رسم هذه الصورة.

يقول جوستاف بفانموللر عن قيمة هذه المصادر العلمية: "لا بد أن يعود هذا الجهل وسوء التقدير للإسلام ـ رغم الاختلاط المباشر الكثير ـ إلى حد ما إلى أن التعرّف الأوّل على الإسلام قد تمّ عن طريق البيزنطيين، إذ ترجع أقدم التقادير التاريخية التي لدينا عن نشأة الإسلام إلى ثيوفانس

البيزنطي. وإلى هذه التقادير ترجع غالبية الأساطير التاريخية التي قيلت عن محمد في العصور الوسطى، وبعد ذلك قدمت الحملات الصليبية دافعا جديدا، ومن هنا اتخذت صورة محمد باستمرار لونا أشنع من ذي قبل، وعرضت باستمرار بصورة أكثر فظاعة"(٢٢). ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن جذور الحملة التحريفية للإسلام وسيرة رسوله ترجع إلى عهد يوحنا الدمشقي ٦٦٧-٧٤٩م الذي صنّف في هذا الصدد كتابا بعنوان **محاورة مع مسلم** وكتابا آخر بعنوان **إرشادات النصارى في جدل المسلمين** إلا أنه لا يمكن اعتبار يوحنا الدمشقي مستشرقاً لكونه شرقيا عاش في كنف الدولة الأموية(٢٣).

وقد ألف يوحنا الدمشقي هذا كتابا في اللاهوت خصص القسم الثالث منه للحديث عن حركات الهراطقة المسيحية جاء فيه: "إن الإسلام ليس إلا زندقة مسيحية نسطورية الأصل والمنشأ، وأن محمدا لم يكن سوى صاحب نحلة خارجة عن الدين جاء قومه بكتاب مصطنع مختلق أنشأه بعد تعرّفه على راهب من أتباع أريوس المنشق عن الكنيسة، وأنه ملك قلوب قومه بما أظهره من تقوى كاذبة".

ثم جاء بعد يوحنا الدمشقي المؤرخ البيزنطي المذكور ثيوفاس "المعترف" Theophanes Confessor الذي ألف كتابا عن حياة محمد صلى الله عليه وسلم وصار مرجعا لما جاء بعده من المؤرخين، ومما جاء في هذا الكتاب: في عام ٦٣٢م توفي حاكم ورسول العرب الكذاب ماوميد Mouamed الذي أضل بمكر في بداية أمره عددا من اليهود الذين اعتقدوا باطلا بأنه المسيح المنقذ الذي كانوا ينتظرون ظهوره، فآمن عدد من رؤساء اليهود بدعواه ودخلوا في عقيدته، وعندما وجدوا أنه أحل أكل لحم البعير لقومه تبيّنوا أنه لم يكن المسيح المنتظر، وخافوا من إعلان سخطهم عليه، واستمروا تقيّة على أنفسهم في مساندته وتحريضه على التبشير بجملة آراء ضدنا "النصارى" وخرج محمد إلى أرض الشام في تجارة لزوجته خديجة، والتقى هناك باليهود والنصارى الذين تعلّم منهم بعض التعاليم السماوية، وكانت تنتابه موجات الصرع ... وتمكّنت جماعته من السيطرة إلى يثرب بالقوة وأرشد أتباعه إلى أن من يقتل عدوا له فإن مصيره إلى الجنة. ووصف لهم الجنة بأنها موضع الملذات الجسدية من شرب للخمور ومعانقة للنساء، واستغراق في الشهوات، واتخذ من شيوعة الجنس واستحلال المحرمات أداة لهدم المسيحية. وفي القرن الثالث عشر نشر بارثو لوميو الأوديسي كتابا جاء فيه: أن محمدا لم يكن نبيًّا مرسلا بل داعرا وأنه كان قاتلا وسارقا وقاطع طريق(٢٤).

وقد كان لـ "بيتر" الذي حرّض على ترجمة القرآن الكريم وتأليف بعض الكتب في الطعن في الإسلام وتشويه سمعة المسلمين دور بارز في اختلاق هذه الصورة المشوهة عن الإسلام، وإشاعتها بين الشعوب الأوروبية، فأصبحت مؤلفاته هي الأخرى من أهم المنابع التي استقى منها كتاب العصور الوسطى معلوماتهم عن الإسلام، وكان يلقب باسم البطل المسيحي الكبير لما قام به من حمل لواء جملة نشيطة ضد الإسلام والمسلمين، فقد كانيلوم المسيحيين على مهادنتهم للإسلام، ولهذا وضع خطته لمحاربة الإسلام، ورأى أن يكون البدء بها بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية(٢٥).

كما ترجع أوليات هذه الصورة المشوهة عن الإسلام أيضاً في أوروبا، والتي تناقلها كتاب العصور الوسطى إلى رسالة دوّنت بالعربية تحمل اسم مؤلف مجهول يدّعي أنه مسلم ارتدّ وتنصّر، واسمه عبد المسيح ابن إسحاق الكندي(٢٦). قد أعيد نشر هذا الكتاب في القرن التاسع عشر بلندن ليخدم أغراض المبشرين في تشويه صورة الإسلام(٢٧).

الحروب الصليبية في فلسطين:

إن العداء السياسي استحكم واشتدّ بين نصارى الغرب والمسلمين في الحروب الصليبية التي شنّوها على المنطقة الإسلامية للسيطرة عليها، واستخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين، وخاصة أيام نور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، إثر الهزائم المتكررة، والفشل الذريع الذي مُنُوا به. ولما كان القائمون على أمر هذه الحروب والمعبئون لها الطاقات والمألبون عليها هم رجال الكنيسة، فإن ذلك جعلهم في طليعة المهتمين بدراسة الإسلام وأحوال المسلمين.

ومن هنا فإن طليعة المستشرقين كانوا في معظمهم من القساوسة ورجال الدين المسيحي الذين أرادوا الانتقام لهزائهم بتشويه الإسلام ورسوله، وتقديم صورة عنهما أكثر فظاعة من الصورة التي رسموها عنهما قبل هذه الحروب، وبمختلف الوسائل، وذلك لتقديم مبرّر للشعوب الأوروبية عن تلك الحروب التي هم أشعلوا نارها بدافع ديني في الظاهر بعد أن تكبّدت تلك الشعوب فيها خسائر فادحة.

لذا قادوا حملة دعائية نشيطة ضد الإسلام ورسوله والمسلمين لإلحاق المزيد من الاتهامات والافتراءات بهم من خلال هذه الحملة، لذا فالأخبار التي وصلت إلى أوروبا من خلالها كانت خاطئة بعيدة كل البعد عن واقع الإسلام والمسلمين ولم يكن الدور البارز فيها إلا لرجال الكهنوت المسيحي الذين رأوا فيها خير وسيلة لتهدئة الخواطر للشعوب الأوروبية التي ذاقت مرارة الهزائهم، فلا قيمة لها من الناحية العلمية.

الحروب الصليبية في الأندلس:

نشبت الحروب الدموية بين المسلمين والنصارى في الأندلس، وخاصة بعد استيلاء "الفرنسو" السادس على طليطلة سنة ١٠٨٥م فنشأت حركة التوبة والتكفير في دير "كلوني" التي عملت على جعل النصرانية الإسبانية نصرانية كاثوليكية صرفة بعد أن أصابها الفساد ـ على حد زعمها ـ لاكتسابها الكثير من الإسلام، فبدأت حربها الصليبية ضد نصرانية إسبانيا وبالتالي إسلامها(٢٨). فقد رافقت هذه الحروب في هذه الجبهة كما رافقت في الجهة الشرقية حملات دعائية ظالمة ضد الإسلام والمسلمين، وذلك بتشويه عقيدتهم وسمعتهم لتأليب نصارى الغرب على حربهم، وكان الدور البارز فيها لرجال الكهنوت الذين دفعتهم العصبية الكنسية على خلق الأكاذيب وإلحاق مختلف التهم بالإسلام والمسلمين، فكانت الصورة المشوّهة التي رسمها هؤلاء أفظع وأشنع من الصور السابقة. لذا فالمعلومات الخاطئة التي وصلت إلى أوروبا عن طريق هذه الحروب لم تكن مختلفة عن المعلومات الخاطئة التي وصلتها من خلال الحروب الصليبية في الجبهة الشرقية.

لقد كانت الكنيسة الغربية تعرف منذ وقت مبكر خطرَ الإسلام على المسيحية في أوروبا وغيرها فيما لو عرضت حقائقه على الناس كما هي دون تشويه أو تحريف لها، فأقدمت على تشويه الإسلام في الوقت نفسه على التبشير، فكان النبي صلى الله عليه وسلم وعقيدته من أهم الموضوعات التي تناولوها بالدراسة غير العلمية المتسمة بالتطرف الشديد في عرض الآراء والتفسيرات والأفكار المتسمة بالجهل المبيّن بالمصادر الإسلامية وباللغة العربية، كما غطى على تلك الدراسات الطابع الأسطوري، والقصص الخيالي غير الواقعي. فاستقرت في أذهان النصارى في العصور الوسيطة صورة ذات ملامح بشعة عن الإسلام ورسوله ورجاله وتاريخه. يقول المستشرق الفرنسي "كرادي فو": ظلّ محمد زمنا طويلا معروفا في الغرب معرفة سيئة، فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاعة إلاّ نسبوها إليه"(٢٩).

مصادر المستشرقين عن الإسلام في عصر النهضة وما بعده:

خلال كل المراحل السابقة تكاتفت جهود المستشرقين والمبشرين في كتاباتهم عن الإسلام لإشاعة أن الإسلام دعوة باطلة، ورسالة زائفة، وأنه ينبغي أن لا يبقى أكثر مما بقي ... فكثرت مؤلفاتهم التي تنال من الإسلام ونبيّه، وتشوّه مبادئه وثقافته، وتعطي المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله، فلا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما قام به هؤلاء من تحريف للتاريخ الإسلامي. فقد لجؤوا إلى وسائل دنيئة استخدموها في حربهم ضد الإسلام، فقد كانت كل الشبهات والشكوك حوله من صنعهم، فحملوا جاهدين على إذابة الشخصية الإسلامية، إرضاء للكنيسة ورغبة في رفع شأن المسيحية على الإسلام.

وقد اتخذت أفكار المستشرقين أشكالا متعددة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ففي البدء كانت في أوروبا مادة ضخمة حول الشرق، ورثت عن الماضي الأوروبي، إلا أن نهضة استشراقية قد حدثت بفعل حملة نابليون سنة ١٧٩٨ م والتي أدت على تحريك عمليات بين الشرق والغرب(٣٠). فبعد ظهور المدارس الفكرية في ألمانيا وفي فرنسا خاصة طرأ على الدراسات الاستشراقية في القرن التاسع عشر والعشرين، تقييم جديد للتاريخ الإسلامي، وتاريخ السيرة للرسول صلى الله عليه وسلم، وبدت كتابات أقلَّ تهجُّما على الإسلام، وأخذت موقفا فيه نوع من الإيجابية من الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته. ولكن مع ذلك ظل الطابع الهجومي في تلك الكتابات هو السائد بشكل عام، فحينما جاء عصر التنوير وخاصة القرن التاسع عشر والعشرون، حاول فريق من المستشرقين الالتزام بالحياد والمنهجية العلمية. فهناك من أنصف منهم من جانب وتحامل من جانب آخر، وبذلك لم يستطع الاستشراق كليا، التخلص من آثار تلك الكتابات المتحاملة القديمة غير العلمية التي ورثها المستشرقون من كتّاب العصور الوسطى، فعلى الرغم من هذه المحاولة لم يتمكّن هذا الفريق من التحرّر والتخلّص منها.

يقول في ذلك المستشرق "مونتجومري وات": "جَدَّ الباحثون منذ القرن الثامن عشر في تعديل الصورة المشوهة التي توالدت في أوروبا عن الإسلام، وعلى الرغم من الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل، فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة والتي أحدثتها كتابات القرون الوسطى في أوروبا لا تزال قائمة، فإن البحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها"(٣١). ويقول المستشرق برنارد لويس: "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستمرة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية"(٣٢). ويقول المستشرق "رودي بارت": "ألف لويس شبرنجر ١٨١٣– ١٨٨٣م كتابا تاريخيا اسمه (**Das Leben und die lehrer das Mohammed**) ـ **حياة محمد وتعاليمه حسب مصادر لم تستخدم غالبيتها** ـ في ثلاث مجلدات في برلين، فكان المتوقع أن يتمكن "شبرنجر" بما بين يديه من مصادر كثيرة من كتابة سيرة لمحمد لا تدع مجالا للنقد أو الأخذ، ولكن السيرة التي ألفها خيّبت الظنون في أكثر من ناحية، ولم ترع شروط ومتطلبات التقرير العلمي، فقد ضلله اتجاهه إلى النظر إلى الإسلام باعتباره وليد روح عصره، وحمله على التعليل من شأن شخصية النبيّ من أهمية جهوده التاريخية"(٣٣).

في الواقع أن التعصب ضد الإسلام قد ظل مرافقا للدراسات الاستشراقية إلى يومنا هذا، وأن المستشرقين المتعصبين قد أساؤوا إلى أنفسهم وإلى المسلمين وإلى المستشرقين النزهاء، حتى صار كل ما

يكتبه مستشرق عن الإسلام ينظر إليه بعين الحذر والريبة، ويبحث فيه عن دسّ أو تشويه. ومن الشواهد على الروح الحاقدة في دراساتهم عن الإسلام، وتجاهلهم للحقائق التاريخية ما قاله المستشرق الفرنسي "كيمون": "إن الديانة المحمدية جذام تفشّى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء، ويدمن مغامرة الخمور، ويجمع في القبائح، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي، يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي، وتكرار لفظة "الله" إلى ما لا نهاية، والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهة لحم الخنزير، والنبيذ، والموسيقى، وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور والانغماس في الملذات"(٣٤).

يقول إبراهيم خليل عن هدف المستشرقين من دراستهم الثقافية الإسلامية: "فالمستشرقون يعنون بدراسة الثقافة الإسلامية دراسة علمية دقيقة وعميقة، ليتصيّدوا منها الشبهات وأقوال وآراء المنحرفين والغلاة والمتعصبين لتجسيمها واتخاذها وسيلة لتشكيك المسلمين في عقيدتهم الدينية باسم البحث العلمي، وهو ادعاء خداع، وإن كان بعض المسشترقين يجنح حينا إلى الإنصاف"(٣٥).

وقد يتخذ المستشرقون التلوُّن والإزدراجية والتستُّر بمختلف الأديان والمذاهب وسيلة إلى تحقيق هذا الغرض، فيقول الدكتور إدوارد سعيد: "فالتلون والإزدواجية والتستر بمختلف الأديان والمذاهب أمر غير مستبعد عن المستشرقين، فيفعلون ذلك وصولا إلى أعماق المواضيع التي يريدون البحث عنها، مثل "لين" حيث تظاهر بالإسلام وبتأدية الصلوات مع غيره من المستشرقين في المساجد"(٣٦).

يقول "نورمان دانييل عن وقوع بعض المستشرقين في العصر الحديث تحت تأثير كتابات العصور الوسطى وعدم تمكنه من التخلص من المواقف التقليدية لأجل البحث العلمي " على الرغم من المحاولات الجدية التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب النصارى من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجردا تاما"(٣٧).

من أبرز الكتب التي استقى منها المشترقون معلوماتهم عن الإسلام وتركت تأثيرا واضحا في كتابات المحدثين منهم كتابان أحدهما **ميـزان الحـق** و "هو كتاب قديم ألفه قسيس يقال له الدكتور "بافندر السويسري" يعدّ هذا الكتاب الينبوع الذي يستقى منه أكثر المبشرين المستشرقين مطاعنهم على الإسلام، وثانيهما كتاب **تذييل مقال في الإسلام** وضعه قسيس أيضاً مجهول سمى نفسه "هاشم العربي" وهو لم يخرج من مطاعن **ميزان الحق** ثم جاء بعد ذلك قسيس آخر اسمه

الدكتور Tisdal W. S. T. Clair تسدال ١٨٩٥م فأضاف على هذا الكتاب مطاعن كثيرة محاولا بذلك الرد على الأستاذ الشيخ رحمة الله الهندي، الذي أقام الدلائل القطعية على تحريف التوراة والإنجيل في كتابه المعروف **إظهار الحق**(٣٨). نجد من بين المستشرقين الذين جاؤوا بعد عصر النهضة فريقا من المتغطرسين الذين أعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية، واستحوذ على كتاباتهم روح التعصب، فراحت أقلامهم تقطر حقدا وعدواة وطعنا في الإسلام من أمثال "ودويل، وبريدو، وسيل" من القرن الثامن عشر، وقد كان لكتابات بعضهم مثل "سيل" أثر كبير في الغرب لمدة طويلة، ويتساوى مع هؤلاء في الحقد والعداوة والكراهة مجموعة من الملحدين الذين ينالون من الإسلام نيلهم من النصرانية أمثال "فولتير"(٣٩).

كما نجد من بينهم فريقا آخر، تكلّموا عن الإسلام باسم البحث العلمي، لكنهم انحرفوا هم أيضاً عن جادة الصواب فراحوا يتلمسون نقاط ضعف في الإسلام فهم بذلك منتقدون لا ناقدون، فينتشون بالسرور إن بانت لأحدهم فرصة ـ حقيقية أو خيالية ـ ينالون بها الإسلام، ويشككون في صحة الرسالة الإسلامية وفي توحيد الإسلام، وفي القرآن الكريم من حيث نصه أو مصدره، وفي الحديث الشريف من حيث صحته، وفي قيمة الفقه الإسلامي الذاتية وفي الحضارة الإسلامية ... من أمثال جولد تسيهر وشاخت وما أكثرهم!

إن أسلوب هذا الفريق أخطر من كل الأساليب الأخرى التي اتبعها المستشرقون من قبلهم في المرحلة العقدية بل هم أشد مكراً وأسوأ سبيلاً لمحاولة بعض من أعضاء هذا الفريق الدخول في الموضوعات الإسلامية المطروقة للبحث من باب التقدير والمدح للإسلام حتى يخدع القارئ ويكتسب ثقته ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير الشبهات الخفية المختلفة هنا وهناك تحت ستار العلم والموضوعية.

ومن هنا فلا يمكن القول: إن العصور الوسيطة هي وحدها اشتملت على المؤلفات الخاطئة عن الإسلام، بل إن عصر الانتقال والنهضة وما تلاه من قرون اشتملت فيها كتابات المستشرقين على كثير من الأخطاء، نحو الإسلام.

وممن وقع في أخطاء مرعبة في تلك الفترات "باسكال ومالبرانش" في القرن السابع عشر و "مونتيسكيو وفولتير" في القرن الثامن عشر" و "رينان وجولد تسهير" في القرن التاسع عشر" و "كازانوفا وشاخت وديرمنغهام" و آخرون كثيرون في القرن العشرين كل هؤلاء وغيرهم قد اقترفوا أخطاء كثيرة بحق الإسلام تحت ستار البحث العلمي.

ومهما يكن أمر هذه الدراسات والقائمين بها، فإنه من الصحيح القول: إن ألوان التحامل القديم لا تزال تعيش قوية في كتابات الذين جاؤوا في المرحلة الجديدة أو ما يسمى المرحلة العلمية، فلا

تزال فئة من الباحثين الغربيين المهتمين بدراسة الإسلام تحرص حتى اليوم على نشر ألوان التحامل القديم في العالم الغربي الحديث على نطاق واسع بأساليب مختلفة، ولم تتمكن هذه الفئة في مجال الإسلاميات التحرر من العقد النفسية المتوارثة تجاه الإسلام وأهله، ولم يتجردوا منها للبحث العلمي النزيه المتجرد عن الميول والأهواء، بل ظلت ترافقهم في أبحاثهم وكتاباتهم، لذا فمن أهم ما يؤخذ عليهم تمسكهم بالأساليب الاستشراقية البالية في فهم الإسلام وتناوله بالروح العدائية المسيطرة عليهم.

ومما يؤسف له أكثر أنهم يحملون البحث العلمي أوزار أخطائهم، يقول المستشرق مونتجومري وات: "إذا حدث أن كان بعض آراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا مخلصين دائما لمبادئهم العلمية، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من جهة النظر التاريخية الدقيقة"(٤٠).

يبدو جليا من كتابات المستشرقين في المرحلة الجديدة أنهم مهما يحاولوا التحرر من التحامل الموروث على الإسلام، فلن يتمكنوا منه، يؤكد ذلك محمد أسد حاصراً أسبابه في المؤثرات التي تركتها الحروب الصليبية فيقول: "أما تحامل المستشرقين على الإسلام فغريزة موروثة، وخاصية طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوروبيين الأوليين"(٤١).

يحاول عدد من المستشرقين التأكيد على عدم وقوعهم تحت وطأة المؤثرات والكتابات المتحاملة على الإسلام، واتباعهم المنهجية العلمية السليمة في أبحاثهم ودراساتهم للعلوم الإسلامية دون أي تحامل أو تعصب متّبعين الموازين النقدية البناءة الهادفة إلى وصول الحقيقة(٤٢)، إلا أن النظرة الدقيقة الفاحصة في كتابات القوم عن الإسلام تثبت أنها تهدف وترغب في الجرح والطعن وتوهين العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية بمختلف الأساليب والسبل، وبذلك لا يختلفون في الأ هداف عن المستشرقين الذين كتبوا عن الإسلام في العصور الوسطى، مع أن البحث العلمي النزيه لا صلة له على الإطلاق بالرغبة في ذلك، والبحث عن نقاط الضعف والتشويه.

كما أن الأسلوب العلمي يحتم ضرورة الإستيثاق من صحة النصوص والأسانيد التي يستنبط منها ما يستنبط من نظريات، لكن المستشرقين تحت الرغبة في الطعن والتشويه يلتمسون الأسانيد الواهية المرفوضة في ميدان البحث، لتأييد ما يقررون من نظريات بها، لذا فموازين البحث المتخذة من قبلهم في كتاباتهم عن الإسلام، تبدو غريبة بالغة الغرابة، إذ من المعروف أن العالم المخلص يتجرد عن الأهواء والميول الخاصة فيما يريد البحث عنه، ويتابع النصوص في المراجع الموثوق بها ثم يجري عليها النقد والتحليل والتعليل.

ثم ما يتوصل إليه بعد ذلك يكون هو النتيجة المقبولة، لكن معظمهم لا تهمهم صحة النصوص والأدلة بمقدار ما يهمهم، الاستفادة منها لدعم آرائهم الخاصة والأحكام المسبقة حول الإسلام. كما يتضح من خلال التأمل في دراساتهم، أنه من غير الممكن تحديد مناهجهم في البحث حيث إنهم لم يحددوا لأنفسهم منهجا خاصا يناقشون فيه أو يتقاضون إليه، مع ادعاء كل منهم التزام المنهجية العلمية في بحثه والحياد للحقيقة العلمية، فيدعى المؤرخ منهم أنه لا يبتغي إلا الحقيقة العلمية لوجه التاريخ، أما المتديِّن منهم فيقول: إنه داعيةُ وحدةِ الأديان والتعاون فيما بينها ... وهكذا لكن تبقى هناك حقيقة غير قابلة للتغير والبديل عند هذا المستشرق أو ذاك، وهي أن المناهج مهما اختلفت وتنوّعت تبق الأهداف إزاء الإسلام، ورسوله وتاريخه كما هي.

يقول الدكتور عماد الدين خليل عن ذلك: "عندما ظهر منهج التفسير المادي حاول أصحابه إخضاع حقائق سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الإسلام له للنيل منهما"(٤٣). إن عدم التزام المستشرقين منهجية علمية سليمة في دراساتهم عن الإسلام ناشئ أصلا من عدم تجردهم عن عواطفهم ومؤثرات بيئاتهم مما أوقعهم في أخطاء فظيعة في أبحاثهم، منها تحكيم الرؤية الوضعية والعلمانية، والتأثيرات البيئية المعاصرة في الوقائع التاريخية. لذا يرى إتيين دينيه ناصر الدين "أنه من المتعذّر إن لم يكن من المستحيل أن يتجرّد المستشرقون من عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة، وأنه لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة مبلغا يغشى على صورتهم الحقيقية من شدة التحريف فيها، ورغم ما يزعمون من اتباعهم لأساليب النقد الحديثة، ولقوانين البحث العلمي الجاد"(٤٤).

وبذلك تأتي بحوثهم حافلة بالأباطيل وهم يحملون البحث العلمي وزر أهوائهم فيها، تقول الدكتورة بنت الشاطئ في ذلك: "لكن البأس كل البأس أن يُحمَّل البحث العلمي" وزر هذه الأهواء فتخرج بحوثهم مشحونة بأباطيل يزعمون أنها مما هدى إليه استقراؤهم لتراثنا، ويفرضون لها حرمة علمية حين يسوقون أدلة وشواهد من نصوص في التراث انحرف بها الهوى والتعصب فضلوا ضلال بعيدا"(٤٥). ثم تستشهد بعدد من هؤلاء المستشرقين الذين وقعوا في أبحاثهم تحت وطأة الهوى والتعصب فتقول: "وما من ريب في أن شاخت وأمثاله ينحرفون عن قصد وعمد استجابة لتعصبهم، ويخضعون في دراساتهم للهوى الجامع"(٤٦). ثم تمضي الدكتورة بنت الشاطئ قائلة: "لكن منهم كذلك من يتجرد للبحث النزيه، ثم يخونه الحق أثرا لما يسيطر على ذهنه من أفكار سابقة عن عقيدتنا وتاريخنا، يعزّ عليه أن يتخلص من احتكامها في توجيه النصوص، وهذا ما لم ينج منه مع الأسف

المستشرق الجليل "كراتشكوفسكي" في كتابه القيم **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** إذ سيطرت فكرته عن نبيّ الإسلام على بحثه في القرآن والحديث، احتكمت في توجيه النصوص"(٤٧) أما محمد حسين هيكل فيرى أن عدم دقة المستشرقين وإنصافهم في دراساتهم عن الإسلام يعود إلى سببين:

أحدهما: عدم التمكن من الإحاطة بأسرار اللغة العربية، وثانيهما: تأثرهم بالنصرانية الغربية تأثرا يجعلهم ينظرون إلى الأديان الأخرى نظرة مفعمة بالشك والريبة(٤٨).

الدافع العلمي لدى بعض المستشرقين:

المستشرقون طوائف مختلفة، وهم من أمم كثيرة، ولهم دوافع متنوعة تنسجم وطبيعة المرحلة التي جاؤوا فيها، منهم المخلصون، ومنهم المغرضون، وتكثر هذه الفئة الثانية في مجال الإسلاميات، وقد ظهرت الفئة المخلصة منهم في عصر التنوير قدموا من خلال مهمتهم في ميدان الاستشراق إلى الفكر الإسلامي أشياء نافعة لا يمكن تجاهلها في مجال إحياء التراث والتبويب ونشر المخطوطات بعد تحقيقها في اختصاصات مختلفة، إنهم يستحقون الاحترام لما لهم من موضوعية في دراساتهم الإسلامية، ولما لهم من المآثر الإجابية على مسار النهضة الحديثة في البلاد العربية والإسلامية، فقد كانت الأهداف العلمية مقصدهم، فمنهم من قرأ الكتب الإسلامية وفحصها فأدرك أن الرسالة الإسلامية قريبة من الرسالات السماوية ومؤيدة لما جاء في كتبها من الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله، ودعوة إلى الحق والخير والصلاح، لكن هذه الفئة قليلة جدا، ولكنهم مع إخلاصهم في دراساتهم الإسلامية لا يسلَمون من الأخطاء والاستنتاجات الخاطئة إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء التاريخية في الشرق على حقيقتها. هذه الفئة من أسلم الفئات التي لها أهداف دينية أو علمية مشبوهة أو دينية وسياسية وأقلها خطرا إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبيّن لهم ذلك، ومن هذه الفئة من يؤديه بحثه إلى اعتناق الإسلام.

من هذه الفئة أصحاب حياد وإنصاف، ولهم كتابات وأراء معتبرة، ولهم مواقف جريئة وصريحة إزاء الإسلام ورسوله وأهله صرحوا فيها بالحق والحقيقة الإسلامية، فقد جرت على ألسنة الكثير منهم كلمة الحق إزاء الإسلام، من هؤلاء الأستاذ الدكتور "فرتز شتيباب" الأستاذ بجامعة برلين الذي وقف أمام المؤتمرين في مؤتمر عقده المستشرقون الألمان في برلين سنة ١٩٨٠م ليعلن عن حقائق قد تخفى على كثير من المسلمين أنفسهم، حينما قال مخاطبا إياهم: "أيها السادة العلماء أرجو أن تفرقوا بين المسلمين المعاصرين المتخبطين في مواقفهم وتصرفاتهم وبين الإسلام، وأضاف قائلا: "فالإسلام دين

الفكر والعلم والثقافة والعدل والحضارة والتقدم، ولكن المسلمين لم يتمسكوا به، وهم مدعوون لأن يسلموا حتى يصلح حالهم وتستقيم شؤونهم، ويصبحوا جديرين بحمل الراية من جديد"(٤٩).

ومنهم الدكتور "بدرو مونتايت" الأستاذ بجامعة مدريد الذي تصدى للمستشرق الأمريكي ـ الذي خصص بحثا شنّ فيه حملة ظالمة على الإسلام والمسلمين وانتهى فيه إلى القول: إن أعظم عمل قام به الإسبان هو طرد العرب والمسلمين إسبانيا ـ فوصفه بالجهل المطبق، واتهمه بأنه لم يقرأ التاريخ ولم يفهمه ثم أضاف قائلا: "إسبانيا ما كان لها أن تدخل التاريخ الحضاري لولا القرون الثمانية التي عاشتها في ظل الإسلام وحضارته، وكانت بذلك باعثة النور والثقافة فى الأقطار الأوربية المجاورة المتخبطة آنذاك في ظلمات الجهل والأمية والتخلف(٥٠).

وممن أنصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاباتهم عدد غير قليل من هذه الفئة من أمثال "أوليري" في كتابه **الإسلام في مفترق الطرق** و "بودلي" في كتابه **حياة الرسول** و "كانون سل" في كتابه **حياة محمد** بالإضافة إلى ما تركه الكاتب الروسي الكبير "تولستوي" من أقوال صادقة معبّرة عن عظمة شخصية رسول الإسلام، وما ذكره الزعيم الهندي الراحل "نهرو" وما تركه "راصو" في كتابه **الإسلام والحضارة العربية**.

وممن جرت كلمة الحق على ألسنتهم وأقلامهم إزاء الإسلام وأهله "جان جاك روسو" في كتابه **العقد الاجتماعي**، وجميس ميتشرز، وماسينيون وغيرهم. وهذا شاعر الألمان الكبير ذائع الصيت "جوته" قد وضع أنشودة ثنائية، فيها يصور رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه النموذج الأعلى للإنسان الذي ملأ الله قلبه عليه وحياته وأنعم عليه وطهره واصطفاه ليؤسس الديانة الكبرى(٥١).

ومن هذه الفئة من هداه بحثه ودراسته عن الإسلام إلى اعتناقه مثل "إتيان دينيه" الذي كتب كتبا عن الإسلام منها **أشعة خاصة بنور الإسلام** و **محمد رسول الله** بالاشتراك، و موريس بوكاي الذي كتب كتابا عن القرآن والعلم الحديث بالفرنسية وترجم إلى العربية بعنوان **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة** و زغريد هونكه صاحبة كتاب **شمس الله تسطع على أوروبا** وغيرهم.

يقول أبو الحسن الندوي عن جهود هؤلاء وإنصافهم في كتاباتهم عن الإسلام: "هناك عدد من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الإسلامية، وتبنّوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية أو اقتصادية أو دينية بل لمجرد ذوقفهم وشغفهم بالعلم وبذلوا فيه جهودا ضخمة فيكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحهم والثناء عليهم، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف إلى النشر والإذاعة(٥٢).

لكن مهما قيل عن هؤلاء المنصفين ممن التزموا المنهجية العلمية السليمة والحياد في دراساتهم عن الإسلام، فإن عددهم قليل إذا ماقورن بالعدد الهائل من المستشرقين الذين حملوا على الإسلام وأهله، ونصبوا لهما العداء بغير حق ضاربين بعرض الحائط ضرورة اتباعهم المنهجية العلمية السليمة والحيدة والتجرد من الأهواء والعوامل الأخرى في دراساتهم عن الإسلام وكتابه ورسوله وشريعته وتاريخه.

خاتمة البحث:

بدا لنا جليّا من خلال هذا البحث الموجز أن المستشرقين في المرحلتين العقدية والجديدة أو ما يسمى المرحلة العلمية، لم ينصفوا الإسلام ورسوله وأهله في كتاباتهم وبحوثهم، ففي المرحلة العقدية ـ وهي مرحلة ما قبل عصر التنوير ـ بذل المستشرقون جهودهم في كتاباتهم عن الإسلام لمحاربته بتشويه صورته والحطِّ والانتقاص من شأن نبيّه، فجاءت متسمة بالجهل التام بالإسلام وسيرة رسوله وعقيدته، والسطحية والتعصب وهي أمور، إذا ما توفر كلها أو بعضها في أي كتاب أو بحث أو دراسة تفقده القيمة العلمية فلا يكون له نصيب في سوق العلم، هذه حقيقة أقرها كثير من المستشرقين الذين جاؤوا في المرحلة الجديدة، لأن هذه المؤلفات كانت قد اعتمدت مصادر غير صادقة و غير موثوق بها كالبيزنطية، والإسبانية، وما كتب عن الإسلام من قبل المتعصبين من القسيسين والرهبان في أثناء الحروب الصليبية وما بعدها في العصور الوسطى، فكانت مفتقرة إلى الموضوعية والتجرد النزيه من أجل البحث والأمانة العلمية، وبذلك يستطيع المرء الجزم بخلوّها من الشروط الموضوعية للبحث العلمي، وكما قلنا هذه الحقيقة لم تكن خافية على جمهرة المستشرقين الذين فنّدوا تلك الكتابات والتفسيرات عن الإسلام، منهم غروبناوم، ومنتجومري وات، وكيريللي، ورودي بارت، ونورمان دانييل، وبرنارد لويس، وآخرون.

أما في المرحلة الجديدة أو العلمية، في عصر التنوير وما بعده، فلم يستطع المشترقون التخلّص كليا من آثار الكتابات القديمة في المرحلة العقدية، إن نصوصهم وكتاباتهم في المرحلة الجديدة عن الإسلام خير شاهد على أنهم لم يتحرروا من تلك الإفكار القديمة المتحاملة والعقد النفسية المتوارثة، يقول المستشرق منتجومري وات عن ذلك: "وعلى الرغم من الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل، فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات العصور الوسطى في أوروبا لا تزال قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها"(٥٣).

فكتابات جولد تسهير وشاخت وكازانوفا وديرمنغهام وغيرهم أمثلة حيّة على هذه الحقيقة، يمكن أن نرجع موقفهم هذا المجافي للحقيقة إلى عاملين أساسيين حالا دون إصابة القول في حق الإسلام:

أحدهما: التعصّب الديني الذي استمرّ لدى ساسة أوروبا وعلمائها ومفكريها وقادتها العسكريين في مختلف العصور.

ثانيهما: التقدم الحضاري الذي وصل إليه الغربيّون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، فقد أدخل هذا التقدم في نفوس علماء الغرب ومؤرخيهم قدراً كبيراً من الغرور والغطرسة، مما جعلهم يعتقدون أن الغربيين هم أصل جميع الحضارات في التاريخ، وأن عقليتهم تتميز بالدقة والتأمل، أما عقلية غيرهم ومنهم المسلمون فتتميّز بالبساطة والسذاجة، فوصفها "جب" بالذرية في كتابه، ويقصد بذلك أن العقلية الإسلامية تدرك الأمور بواسطة الجزئيات، ولا تدركها إدراكا كليا كالعقلية الغربية المتميّزة (٥٤).

هناك فئة قليلة من المستشرقين قد برزوا في عصر التنوير في مجال الإسلاميات هم أصحاب حياد وإنصاف ولهم كتابات معتبرة، ولهم مواقف جريئة وصريحة إزاء الإسلام، لم تكن لهم أهداف سياسية أو دينية أو علمية مشبوهة قدموا من خلال مهمتهم في ميدان الاستشراق إلى الفكر الإسلامي أشياء نافعة لا يمكن تجاهلها في مجال إحياء التراث والتبويب والفهرسة ونشر المخطوطات بعد تحقيقها في اختصاصات مختلفة، إنهم يستحقون الاحترام لما لهم من موضوعية في دراساتهم الإسلامية، ولما لهم من المآثر الإيجابية على مسار النهضة الحديثة في البلاد الإسلامية فقد كانت الأهداف العلمية مقصدهم ولكنهم عدد قليل إذا ماقورن بالعدد الهائل من المستشرقين الذين حملوا على الإسلام وأهله ونصبوا لهما العداء فاتبعوا منهجية غير سليمة غير متسمة بالحيادية ولا الإنصاف والتجرد من الأهواء والميول في دراساتهم عن الإسلام.

هـوامش

١- انظر: **تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي**، د. عبد الجبار ناجي، دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨١م، ص ١٣.

٢- انظر: **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، د. مصطفى السباعي، دار البيان الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ص ١٧، و**مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، مكة، العدد الخامس، السنة الخامسة، ص ٢٢، **والمستشرقون**، نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م، ج ١، ص ١١٠.

٣- انظر: **المستشرقون**، العقيقي، ج ١، ص ١٢٠، وما بعدها.

٤- انظر: **الاستشراق**، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨١م، ص ٨٠.

٥- انظر: **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، رودي بارت، ترجمة د. مصطفى ماهر، دار الكتب العربي، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٩.

٦- المصدر السابق، ص ٩-١٠، بتصرف.

٧- **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، د. مصطفى السباعي، ص ١٦-١٧ بتصرف.

٨- انظر: **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، رودي بارت، ص ٩.

٩- انظر: **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية**، د. قاسم السامرائي، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ص ١٩، **وحياة محمد**، د. محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشر، ١٩٦٨م، ص ٩.

١٠- **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية**، د. السامرائي، ص ٢٠ بتصرف.

١١- المصدر السابق، ص ٢١ بتصرف.

١٢- انظر: **التبشير والاستعمار**، للدكتورين مصطفى خالدي وعمر فروخ، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٠م، ص ٣٧.

١٣- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، د. محمود زقزوق، الطبعة الأولى، قطر، ١٤٠٤هـ، ص٢٧ وما بعدها بتصرف.

١٤- **تراثنا بين ماض وحاضر**، د. بنت الشاطئ، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م، ص ٥٢، جاءت في عبارة الدكتورة (أحبارها) والصواب (رهبانها) لأن كلمة أحبار تطلق على رجال الكهنوت اليهودي أما كلمة رهبان فتطلق على رجال الكهنوت المسيحي.

١٥- **المستشرقون والإسلام**، د. عرفان عبد الحميد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩م، ص ٦ وما بعدها، **والحضارة الإسلامية**، خودا بخش، ترجمة الدكتور مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٣٨.

١٦- انظر: **الحضارة الإسلامية**، خودا بخش، ص ٤٦ وما بعدها.

١٧- انظر: المصدر السابق، ص ٥١.

١٨- انظر: **سيرة الرسول في تصورات الغربيين**، جوستاف بفانموللر، ترجمة محمود حمدي زقزوق، مكتبة ابن تيمية المحرق، البحرين، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ص ٤٤ وما بعدها.

١٩- انظر: **الحضارة الإسلامية**، خودا بخش، ص ٤٦.

٢٠- انظر: المصدر السابق، ص ٥١.

٢١- انظر: المصدر السابق، ص ٣٥.

٢٢- انظر: **سيرة الرسول في تصورات الغربيين**، جوستاف، ص ٤٥.

٢٣- انظر: **الاستشراق والخلفية الحضارية للصراع الحضاري**، د. زقزوق، ص ١٩.

٢٤- من محاضرة للأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد، ألقاها على طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد، كلية الشريعة، الدكتوراه، نقلا عن **مجلة الإسلام** الألمانية، العدد ٦٣، السنة ١٩٣٦م، ص١٣٤ وما بعدها.

٢٥- انظر: **الحضارة الإسلامية**، خودا بخش، ص ٤٦ وما بعدها.

٢٦- انظر في **تاريخ ومضامين ونقد الرسالة والرد عليها الذي دونه الهاشمي** عند: عبد المجيد الشرقي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص ١٢، (الدار التونسية للنشر ١٩٨٦م).

٢٧- انظر: **المستشرقون والإسلام**، د. عرفان عبد الحميد، ص ١٠، **والحضارة الإسلامية**، خودا بخش، ص ٣٨ وما بعدها.

٢٨- انظر: **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية**، د. السامرائي، ص ٢١.

٢٩- **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض السعودية، ج ١، ص ٢٢.

٣٠- انظر: **الاستشراق**، إدوارد سعيد، ص ٧٣.

٣١- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، د. زقزوق، ص ٧٢.

٣٢- **الإسلام والمستشرقون**، د.عبد الجليل شلبي، مطابع دار الشعب، القاهرة، ص ٢٧.

٣٣- **الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية**، رودي بارت، ص ٢٢ وما بعدها.

٣٤- **تاريخ الإمام محمد عبده**، السيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٤٤هـ، ج ٢، ص ٤٠٩.

٣٥- **رد مفتريات على الإسلام**، عبد الجليل شلبي مقدمة للإستاذ إبراهيم خليل، دار القلم، الكويت، ١٤٠٢هـ، ص ١٢.

٣٦- **الاستشراق**، إدوارد سعيد، ص ١٧٧.

٣٧- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، د. زقزوق، ص ٧٣.

٣٨- انظر: **المستشرقون والإسلام**، زكريا، ص ١١٧ وما بعدها.

٣٩- انظر: **الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم**، د. السباعي، ص ٢٧، **والمستشرقون الحقيقي**، ج ٣، ص ١١٦٠.

٤٠- **محمد في مكة**، مونتجومري وات، ترجمة شعبان بركات، المطبعة المصرية، لبنان، ص ٦.

٤١- **الإسلام على مفترق الطرق**، محمد أسد، ترجمة د. عمر فروخ، دار العلم، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٦١.

٤٢- انظر: **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، رودي بارت، ص ١٠.

٤٣- انظر: **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، ج ١، ص ١٣٩.

٤٤- **محمد رسول الله**، إتيان دينيه وسليمان إبراهيم، ترجمة د. عبد الحليم، دار المعارف بمصر، ص ٤٢ وما بعدها.

٤٥- **تراثنا بين ماض وحاضر**، د. بنت الشاطئ، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م، ص ٥٦.

٤٦- المصدر السابق، ص ٥٧.

٤٧- المصدر السابق نفس الصفحة.

٤٨- انظر: **حياة محمد**، محمد حسين هيكل، ص ٦٠ وما بعدها.

٤٩- انظر: **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، ٢/ ٢٧٧- ٢٧٨.

٥٠- انظر: المصدر السابق، ٢/ ٢٧٦ وما بعدها.

٥١- انظر: **مقدمة الإسلام والإنسان المعاصر**، للدكتور محمد ظفر الله خان، ترجمة محمد جلال شرف، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٥ وما بعدها.

٥٢- انظر: **الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين**، أبو الحسن علي الحسني الندوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٢ وما بعدها.

٥٣- **محمد في مكة**، منتجومري وات، ص ٦.

٥٤- **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، د. السباعي، ص ٦٤.

* * * *